بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة هذا الكتاب

الحمد لله منزل القرآن ، خالق القلم والبنان ، ومعلم الإنسان البيان ، مَن عنده موازين الحق والعدل والإحسان ، وكل يوم هو فى شان . **والصلاة والسلام** على المبعوث رحمة للأنام ، رافع راية الإسلام والإيمان . ورضى الله على صحبه وآله الأطهار وعلى مَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد :

فهذا كتاب مُهم نحتاج إليه فى ظروفنا الحاضرة ، المليئة بالتشرذمات الطائفية . أُوَجِّهُهُ إلى **عقلاء أهل وطنى** وإلى مَن به شىء من العقل والذكاء **ويحب مصر** . فمما لا شك فيه أنَّ درجة الوعى والثقافة العامة تتحدد عند الفرد السَّوىّ بقدر إلمامه بتاريخ بلده ولغته . وعندما يصبح التاريخ المزيف واللغة المزعومة جزءاً رئيسا من عقيدة مجموعة من الناس لإثارة الفتنة والبلبلة فى المفاهيم ولإضعاف الوحدة الوطنية لشعب مصر ؛ **فلابد من وقفة نعيد فيها قراءة التاريخ المصرى لنعلم صحيحه من سقيمه بغرض بناء ثقافة التطور والمواجهة** .

وستكون وقفتى فى هذا الكتاب بحول الله وقوته حول ثلاثة محاور :

الأول : يتعلق ببداية **ظهور الكنيسة القبطية المصرية** فى التاريخ المصرى وما أثارته حول لغة طقوسها ، وبداية استخدامها لما يُسَمَّى باللغة القبطية والأسباب التى دعتها لذلك .

والثانى : دراسة تاريخية أصولية وإن كان بها بعض التلميحات الجادة حول ما يُسمى **باللغة القبطية** ، التى زعموا أنها كانت لغة شعب مصر كله وليست بلغة مؤقتة كان يتعامل بها المستعمر اليونانى مع المصريين .. **ثم تحولت** إلى لغة دينية يخاطب بها المبشرون بالمسيحية فى كنيسة الإسكندرية من يونان ورومان قسس ورهبان الكنائس المصرية الناشئة .. **ثم تحولت** إلى لغة رسمية لبعض

obeikandi.com

الكنائس المصرية التى انشقت على كنيسة الإسكندرية بعد مجمع خلقيدونية الشهير (٤٥١ م) ، **ثم** أصبحت هى اللغة الرسمية للكنائس المصرية فيما بعد - باستثناء كنيسة الإسكندرية الكبرى التى كانت لغتها الأولى هى اليونانية واللاتينية ، ولم يصلنا منها أى كتابات لاهوتية باللغة القبطية - عقب الفتح الإسلامى لمصر وزوال الاضطهاد الدينى المسيحى الذى كانت تمارسه كنيسة الإسكندرية على قسس ورهبان قبط مصر . فكان استعمال اللغة القبطية فى الكنائس المصرية نوعا من الاحتجاج على قسس كنيسة الإسكندرية الذين يتكلمون اليونانية .

ثم تكلمتُ عن لهجات القبطية المختلفة كتابة ونطقا وإعرابا ، ومدى التطور الذى لحقها منذ عصر بطريرك الكنيسة القبطية **كيرلس الرابع** (١٨٥٤ – ١٨٥٦ م) بتغيير نطق الحروف القبطية حتى تتماشى مع النطق اليونانى الحديث للحروف اليونانية - والأصل والهدف المنشود هو الابتعاد عن المنطوق المصرى العربى - مع بيان بصمات مُطوِّرها **عريان أفندى** عليها ، بتكليف من البطريرك **كيرلس الرابع** . ومن ثم ظهور ما يُعرف **باللفظ الحديث** المعمول به حاليا فى أديرة وادى النطرون العتيقة وخاصة دير الأنبا مقار ببرية شيهيت .

ثم مرحلة العودة إلى اللفظ البحيرى القديم على عهد البابا **شنودة الثالث** الحالى الذى يملك امكانات كبيرة فى معهد الدراسات القبطية لإحياء اللهجة البحيرية قبل تطويرها إلى اللفظ الحديث مَسْحًا وإزالة لما فعله سلفه كيرلس الرابع فى القرن التاسع عشر الميلادى .

والثالث : الكلام عن اللغة المصرية **كمنطوق مسموع** - وليس كمكتوب - يصدر من أفواه المصريين وثبات ذلك المنطوق المسموع منذ عصر قدماء المصريين وإلى الآن وإن تغير اسم اللغة وأشكال كتابتها . فكل ما يهمنى هو إظهار **ثبات الصوت المنطوق من أفواه المصريين - اللسان المصرى - لأهم الكلمات وخصوصا أسماء الأعلام .**

فذكرت أمثلة من الأسماء المصرية القديمة للأفراد وللبلاد ولبعض المحاصيل الزراعية الشهيرة بمصر . تلك الأسماء التى لا تزال حية بيننا إلى الآن حافظ عليها الأجداد والآباء حتى إننا لنتكلم بها فى بيوتنا ومدارسنا وشوارعنا . ثم بَيَّنتُ استحالة كتابة معظمها أو نطقها باللغة القبطية الكنسية الحالية لانعدام تواجد أصوات الأحرف المصرية الأصيلة فى القبطية ..!!

ثم تكلمت عن مجموعة من **المثانى المصرية** أى الكلمات ذات الحرفين التى لا تزال حية بيننا إلى الآن منذ عصر الفراعنة ، نتكلمها ونفهم معناها . وإن كان معظمها لا يوجد فى معاجم اللغة العربية . ومن ثم البحث عنها فى قواميس اللغة القبطية لمعرفة تواجدها فيها ، وبالتالى لتحقيق صحة انتماء اللغة القبطية إلى اللغة المصرية . **إمَّا** أنها مصرية **وإمَّا** أنها دخيلة مخترعة لا تلتحم مع اللسان المصرى ومتطلبات الشعب المصرى .

ثم تكلمت أخيرا وباختصار شديد عن **ضياع الهوية الشخصية والوطنية** عند شركاء المواطنة من الأقباط ، وذلك بتغييرهم الأسماء المصرية الفرعونية ولبسهم أسماء يونانية وقبطية ليتميزوا على شركائهم فى المواطنة من المسلمين المصريين والمسيحيين من الطوائف الأخرى غير الأرثوذكسية .

وكنت أتمنى أن يكون تأليف هذا الكتاب من نصيب مؤلف غيرى مصرى مسيحى من طائفة الأورثوذكس الأقباط ، يحب وطنه مصر وينصف شركائه فى المواطنة من المسلمين المصريين والمسيحيين المصريين من أصحاب الطوائف الأخرى التى لا تخضع لسيطرة الكنيسة القبطية ، ليكلمنا بحيادية عن **نشأة الكنيسة القبطية وماهية اللغة القبطية ، وعلاقتها الصوتية بالمنطوق المصرى المسموع الآن من أفواه العامة فى المنازل والطرقات وفى المتاجر والمزارع ، وما هية اللغة المصرية كمنطوق** ـ بعيدا عن العقائد الدينية والتضليل التاريخى ـ **متمثلة فى أسماء المصريين** ـ التى احتفظنا بمنطوقها من العهد الفرعونى وإلى الآن ـ كمقياس نقيس عليه بحثنا لنعرف درجة صدقه من كذبه .

كنت أوَدّ أن يكلمنا ذلك **الكاتب المصرى الذى يحب بلده مصر** ويوضح لنا بطريقة علمية ـ بعيدا عن المهاترات الدينية ـ عن أصل وفصل الكنيسة القبطية ولغتها القبطية . فكلاهما من علامات تاريخنا المصرى الذى نعتز به ونجتمع عليه مسلمين ومسيحيين بجميع طوائفهم .

ولقد فوجئت بأنّ هناك كثيرا من الشباب المصرى المتدين واقع فى منطقة الضباب الكثيف الذى يحول بينه وبين حب مصر .. فالمسيحى انتماؤه قبطى لا يعرف سوى كنيسته وطنا له ، والمسلم انتماؤه إسلامى لا يعرف سوى الإسلام وطنا له مع أنّ مصر دولة إسلامية . فأين موقف الوطن الذى ندافع عنه بالغالى والنفيس ضد كل أجنبى مغتصب دخيل ..!!؟

فلماذا يطالب شركاء المواطنة بإحياء لغة ميتة وُلِدَت لسبب طارىء فى تاريخ مصر ، وزال ذلك السبب بخروج مخترع تلك اللغة القبطية ، وعادت مصر بفضل الله إلى لسانها المصرى . وكون تغير الدين والمعتقد لا علاقة له بهوية الجنسية والانتماء ، فمصر الفرعونية هى مصر المسيحية هى مصر الإسلامية . فما العائد من رفض وصف مصر بالإسلامية أو بالعربية وما أثر وانعكاس هذا الوصف على الواقع الذى نعيشه ..!؟ وهو سؤال منطقى وراء الإجابة عنه دوافع لا تخفى على العاقل .

هل يريدون منا ترك الإسلام كمرجعية سلوك وكشريعة وعقيدة أو ترك لغتنا العربية بإحياء القبطية ..!!؟ وهل يريدون منا أن نتعامل مع اللغة العربية كما نتعامل مع أى لغة أجنبية ..!؟ هل هذا هو المطلوب من إحياء اللغة القبطية التى لا تلبى احتياجات المصريين فى تعاملهم فى جميع مجالات الحياة ..!!؟

فالدين المسيحى أصوله ليست قبطية ، ولم يكتب آباء المسيحية الأوائل فى القرون الثلاثة الأولى كتاباتهم ورسائلهم بالقبطية ، ولم تكن لغة كنيسة الإسكندرية حتى دخول الإسلام لمصر هى القبطية . فلماذا تلك الضجة المفتعلة التى ينادى بها شركاؤنا فى المواطنة لعودة القبطية لغة رسمية للمصريين ..!! مع أنّ لغتهم

المصرية التى يتكلمونها حاليا أقرب إلى لغة المسيح الآرامية وأصول دينهم من القبطية واليونانية ..!!

إنهم يريدون الاتصال بمؤسسى دينهم اليونان ، وفى نفس الوقت يريدون منا قطع علاقتنا بأصول ديننا الإسلامى ..!!

والسؤال هنا اذا غابت لغة وطنية مشتركة أو أكثر فكيف سيتفاهم وسيتصل أبناء الوطن الواحد ..!؟ أيريدون أن يكون التفاهم بلغة مشتركة ربما الإنجليزية أو الفرنسية وهما أبعد ما يكون عن لغة المصريين الأصلية ..!!

ليس هناك أى اعتراض على احتفاظ الكنائس القبطية بلغتها القبطية بلا تعنت أو محاولة لفرضها على شعب مصر كلغة بديلة للغة الحالية ..!!

ولماذا الإصرار على كتابة حروفها باليونانية ولا يكتبونها بالعربية مثلا حتى تستقيم لسانا مع لسان المصريين فى التعامل اليومى وفى قراءة التراث المصرى ..!!

إنَّ الهوية المصرية الإسلامية لا تهدر أى حقوق لغير المسلمين فلهم مالنا وعليهم ما علينا فهم شركاء وطن كما يعلمنا الفقة الإسلامى وشركاء صناعة الحضارة الإسلامية كما يؤكد التاريخ . ولا خير فى قوم لا يعترفون بالرسالات الإلهية المنزلة الأخرى . ولا خير فى قوم لا يعرفون وقائع تاريخهم حُلوَها ومُرَّها **ولسان أجدادهم الواحد ولغاتهم المتطورة** [1] .

والموضوع ليس دينيا حتى يؤخذ بحساسية فلنغض الطرف عن الجانب الدينى العقيدى ، فنحن المسلمين المصريين نحِب ونعشق لغة كتابنا ولسان مؤسس ديننا محمد ﷺ أى **اللسان العربى واللغة العربية** [1] . وللمسيحيين المصريين لهم ما لنا أيضا ، فليحبوا لغة كتابهم **اليونانية** ولسان مؤسس دينهم المسيح ابن مريم عليه السلام

---

(١) .. اللسان عام وهو المنطوق المسموع يعبر عنه بأشكال كتابية متعددة تسمى اللغات . بينما اللغة خاصة وهى المكتوب ذو القواعد النحوية ، ويعبر عنها بشكل كتابى واحد متطور فى شكله طبقا لاحتياجات الناس وتجميلهم لخطوط لغتهم . **فاللسان العربى** يشمل مجموعة كبيرة من اللغات أطلقوا عليها مجموعة اللغات السامية منها **اللغة العربية** . واللسان المصرى المسموع بالتأكيد يختلف عن اللغتين الهيروغليفية والقبطية كما تنطقان الآن يقينا . واللسان أقدم تاريخا من اللغات ولا يجرى عليه التغير والتطور السريع كما يحدث فى اللغات .

أى الآرامية . فلا دخل هنا للقبطية ، فلا هى أصل لغة كتابهم مقدس ولا هى من لسان مؤسس المسيحية أى المسيح ﷺ حتى نتباغض ونتحابب بسببها . إن هى إلا ترجمة شكلية مِن اليونانية إلى **اليونانية القبطية** للوثائق الدينية اليونانية . مثلها مثل شأن أى ترجمة أجنبية لأى كتاب إسلامى أو مسيحى . فهى ليست تطورا طبيعيا لأى لغة مصرية قديمة كما سيثبت من أدلة فى هذا الكتاب .

ونحن معا جنبا إلى جنب مسلمين ومسيحيين نحب لساننا المصرى ولغتنا المصرية الجميلة مهما كان اسمها ، **لغتنا المصرية** التى نتكلمها فى بيوتنا وشوارعنا ومتاجرنا ومزارعنا ، ونجدها فى أسمائنا المصرية القديمة التى سُمِّىَ بها أجدادنا وجداتنا من قبل دخول الإسلام لمصر ، ونجدها فى أسماء آبائنا وأمهاتنا وأسمائنا ولا نزال نُسَمِّى بها أولادنا بنين وبنات إلى الآن . ونجدها أيضا فى كلمات قصيرة كثيرة ـ مكونة من حرفين اثنين ـ نتكلمها فى بيوتنا وفى حياتنا الخاصة وفى شوارعنا ، كلمات **ربما** لا نجد معظمها فى معاجم اللغة العربية ولا فى القواميس القبطية ..!!

ونظرا لارتباط اللغة القبطية بالكنيسة القبطية ـ دون سواها من الكنائس المصرية الأورثوذكسية غير القبطية أو حتى الكنائس الإنجيلية أو الكاثوليكية ـ كان الدافع للكلام عن الكنيسة القبطية هو المطلب الأول فى هذا الكتاب .. لأننا لم نعرف اللغة القبطية إلا من خلال الكنيسة القبطية وكتابات آبائها **المبشرين** الأوائل . ولم نعرفها كلغة من خلال سجلات التاريخ المصرى العام **أو** من خلال تراث الأجداد والآباء المنقول إلينا مشافهة إلى الآن ، **أو** من خلال علماء الآثار المصرية المتخصصين . فكان ولا بد من الحديث عن نشأة الكنيسة القبطية بلا ولوج فى قضاياها اللاهوتية والعقدية ، فنشأتها وتاريخها يخصا كل المصريين لأنها تمثل جزءا من تاريخهم العام وليس الأمر حكرا على طائفة معينة ..!!

وقبل الولوج فى الكلام عن الكنيسة القبطية واللغة القبطية أعرض على القارىء الكريم مفهومى عن كلمة **قبط** مِن أين جاءت ومَن الذى وصف بها المصريين ، وما قصده من إطلاق ذلك الاسم عليهم ..

قبط .. لقد اختلفوا فى الأصل المصرى لهذه الكلمة . واتفقوا على أنها كلمة يونانية الأصل ، صدرت من فم المحتل لمصر (يونانى ورومانى) بلكنة الكاف والتاء بدلا من القاف والطاء (كوبتوس coptos) . ولكن منطوق الكلمة **قبط** مصرى صميم - وإن صادف العربية - لوجود حرفى القاف والطاء فيها ، وهما حرفان لا مثيل لهما فى اليونانية أو اللاتينية أو حتى فى القبطية الحالية .

ووقف العلماء كثيرا أمام اسم البلدة المصرية الصعيدية **قفط** وقالوا بأنها أصل كلمة **قبط** بعد تحوير الفاء إلى باء تبعا لقول شمبليون مِن أنَّ الفاء لا توجد فى المصرية القديمة (وهو قول خطأ يقينا) . وقامت على تلك الفرية أبحاث عِدَّة ، وهو كلام لا يستقيم أبدا مع اللسان المصرى ..!!

فإن كانت قولتهم صحيحة - وهو غير معقول - وأطلقت الكلمة قبط بطريقة الخطأ من المحتل اليونانى على المصريين بتغيير الحروف الثلاث (ق ف ط) إلى (ك ب ت) - (copt) - فإنها لا تعنى سوى الاستهزاء باللسان المصرى والنيل من المصريين .. فوَصْف اليونانيين للمصريين بتلك الكلمة التى لا أصل لها فى لغة المصريين ليس فيه سوى معنى الاستهزاء . مثل قول البعض وهو يستهزىء بسكان الصعيد : أنت صعيدى وهو يعنى فى قرارة نفسه أنَّ الصعيدى جلف لا يفهم . وقفط من أهم مدن الصعيد " الجُوَّانِى " ..!!

وكذلك يكون قول اليونانيين عن المصريين بأنهم **قبط** - نسبة إلى **قفط** بصعيد مصر - بقصد الاستهزاء بالمصريين وبلسانهم كأنهم من **قفط** الصعيدية . ومن ثم وصمهم بالتحجر وعدم الفهم لانعدام معرفتهم بلغة الفكر والثقافة اليونانية ..!!
وعلى ذلك التخريج اللغوى أرى أنَّ كلمة **قبط** فى زمن إطلاقها تعنى المصريين الأغبياء الذين لا يفهمون الثقافة اليونانية وفلسفتها ولاهوتها المسيحىّ ..!!

والغريب أنَّ شركاء المواطنة يفرحون بتلك التسمية قبط وأقباط وينطقونها فى لغتهم القبطية كما ينطقها اليونانيين كبت وكبتوس ، واتخذوها شعارا لهم بدلا

من اسم المصريين حتى لا يشاركهم فى التسمية المسلمون أو الطوائف المسيحية المصرية الأخرى ..!!

ربما يقول أحدهم إنَّ نبىّ الإسلام ﷺ قد أطلق علينا مسمى **القبط** فى رسالته إلى مقوقس مصر حينذاك . فأقول له لقد خاطب نبىّ الإسلام حاكم مصر - وبطرك كنيسة الإسكندرية فى ذلك الوقت وهو **كيرس** المدعو فى العربية **المقوقس** - أن يتحمل إثم اضطهاده لمسيحىّ مصر المنشقين على كنيسة الإسكندرية والمدعوين فى ذلك الوقت **بالقبط** تمييزا لهم عن باقى مسيحىّ مصر التابعين لكنيسة الإسكندرية ، فقال له " **وعليك إثم القبط** " . فالقبط فى الحديث النبوىّ هم المصريون المُضطهَدُون من كنيسة الإسكندرية وبطركها كيرس (المقوقس) . وبالتالى فهى كلمة لا تشير إلى كل المصريين ..!!

والموضوع شائق وجذاب **ومُحَيِّر** وخطير ، يحتاج إلى رؤية صحيحة محايدة بعيدا عن التضليل التاريخى الذى ننساق إليه والذى يعوق حركتنا ويفرق جماعتنا . رؤية لا مسيحية ولا إسلامية ، بل مصرية خالصة . يقول العقاد رحمة الله عليه : " من الحقائق الواضحة أنَّ المسلمين والمسيحيين هم سواء فى تكوين السلالة القومية . فلا فرق بين هؤلاء وهؤلاء فى الأصالة والقدم عند الانتساب لهذه البلاد . فإذا كان بين المسلمين المصريين أناس وفدوا من بلاد العرب أو الترك فبين المسيحيين المصريين كذلك أناس وفدوا من سورية واليونان والحبشة ، ودانوا بمذهب الكنيسة المصرية أو بغيره من المذاهب المسيحية . ويبقى العدد الأعظم بعد ذلك سلالة مصرية عريقة ترجع بآبائها وأجدادها إلى أقدم العهود قبل الميلاد المسيحى وقبل بعثة موسى عليه السلام [1] .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب القبول لهذا الكتاب لكل قارىء يحب مصر ويغار عليها من مزايدات المضللين . والله بكل جميل كفيل .

ع . م / جمال الدين شرقاوى

---

(١) .. نقلا عن كتاب الكنائس الشرقية وأوطانها ج ٢ كنيسة مصر ص ٢١ - ٢٢ .